Journal Of the Iraqia University (66-1) March (2024)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

دلالة العطف المفرد في سياق البيان القرآني سورة البقرة أنموذجاً

المدرس الدكتور : ساجد حايف محمود

المديرية العامة للتربية في محافظة صلاح الدين

The significance of the singular conjunction in the context of the Qur'anic statement, Surah Al-Baqarah, as an example

Lecturer: Dr. Sajid Haif Mahmoud

10.58564/MABDAA.62.1.2024.715

الملخص

الحمد لله على جزيل نعمته، والشكر له على إحسانه، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وأصحابه الذين جعلهم الله تعالى سببًا في حفظ كتابه العزيز من التبديل والتحريف، فجزاهم عنا خير الجزاء ورضي عنهم أجمعين ومن تبعهم بإحسان، وسار على هديهم إلى يوم الدين.**أما بعد:**تعد دراسة البيان القرآني من الدراسات ذات الأهمية البالغة، وكثيرا ما يطرقها الباحثون لتعلقها بتفسير كتاب الله الكريم، وتبيين معانيه الدقيقة، وأسرار فنون التعبير فيه، وكان لدراستي مادة التعبير القرآني في مرحلة الدكتوراه أثر كبير في شغفي واهتمامي بالدرس البياني في القرآن العظيم.وعملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثلاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ". رواه مسلم : ٣:/١٢٥٥. رقم الحديث: ١٦٣١. أردت أن أضع في المكتبة العربية سطورًا من موضوع في لغة القرآن، راجيا بها جريان العمل، واستمرار الثواب وأنا في قبري، يوم لا ذو شفاعة بمغن فتيلا عن ساجد بن حايف.اقتضت طبيعة الموضوع إدراج الآيات التي ورد فيها العطف المفرد تحت عنوانات بحسب موضوعاتها، ابتدأتها بما يخص الإيمان، ثم ما يخص الأنبياء، فالعبادة، فالنعم وما يتعلق بها، فالمعاملات، فالجهات، فالعقوبات، ثم الكونيات.وكنت قد أفدت من أمهاتِ كتب التفسير في المكتبة العربية، فضلا عن المعجمات التي لا يستغني عنها طالب العلم، ثم بعد عرض الأقوال أبدي رأيي المتواضع في دلالة العطف.أسأل الله تعالى أن يجعل جهدنا المتواضع هذا مباركًا، وأن ينفع به، وأن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. والحمد لله رب العالمين. قرآني سياق عطف دلالة

Abstract

The analysis of the quranic verses is among the most significant studies.Because it has to do with how the world of God is interpreted scholars discuss it a lotDefining it precisely and disclosing the techniques of devotion. My enthusiasm and interest in the great quranic graphic lesson were greatly influenced by my dissertation research on quranic expressiveness.The prophet may God bless him and grant him peace said that "when a person dies, his deads case except for three on going charity, benficial knowledge, or a righteous son he prays for him in accordance with these words.In the hope that the effort will continue even after I am bureied and SAJID bin HAIF will be left feeling powerless and without a mediator I wanted to include the Arabic library lines from a topic in the quranic languageI am starting with the parts that dealt with faith, then what concerns the prophets, worship, transactions then punishments the universal things.I ask GOD almighty to make this humble effort of ours a blessing. Quranic Significance conjunction context

الإيمان

١- قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧].عُطف الإيمان باليوم الآخر

على الإيمان بالله، وكذلك بقية المعطوفات (الملائكة، الكتاب النبيين). ولم أجد أحدًا من المفسرين في ما أعلم – ذكر دلالة تعقيب المعطوفات، وبعد طول نظر وتفكر بدا لي أنه عطف على الإيمان بالله، لأنه أصل الاعتقاد، ولا يقبل الله تعالى من عباده إلا توحيده جل شأنه، ومن أجل ذلك كان الإيمان بالله أولا.ثم عطف الإيمان باليوم الآخر على الإيمان بالله تعالى، وذلك أن العبد الموحد ربه يعلم علم اليقين أن مرده إلى الله تعالى، فيحاسبه على كل صغيرة وكبيرة، ولأن الإيمان باليوم الآخر يقتضي الإيمان بالمغيبات كالبعث والنشور ، والمشاهد العظيمة فيه كالحساب، والجزاء، والشفاعة، والصراط والميزان، والحوض، وأحسب أن عطف الإيمان باليوم الآخر على الإيمان بالله تعالى فيه نكتة لطيفة، إذ إن الإيمان بالله تعالى يمثل أعلى مراتب الإيمان وهو أدخل في الغيب، لأن الله جل وعلا ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. ولا تحيط به الظنون ولا الأفهام.ولما كان اليوم الآخر لم يقع بعد، وأن كل ما سيكون فيه من الأحداث الجسام، والأهوال العظام غير بادية للعيان، فإنّه عُطِفَ على الإيمان بالله، الذي قلنا إنه أدخل في الغيب؛ ولأن الإيمان باليوم الآخر من أعظم الفوارق بين المؤمن المعصوم الدم والمال والعرض، وبين الكافر، فقد كان عطفه على الإيمان بالله، لعظم أمره،أي: الإيمان باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾ [التوبة : ٢٩]، ولأنه لا يتحقق اتباع النبي صلى الله عليه وسلم إلا به فقد جاء معطوفا على الإيمان بالله بدلالة قوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾ [الأحزاب: ٢١].وربما كان سبب عطف الإيمان به على الإيمان بالله أن اليوم الآخر أعظم في أحداثه وعرصاته ومواقفه وأهواله من الملائكة عليهم السلام، لذلك قدم في سياق الإيمان بالغيب الذي هو أعلى مراتب الإيمان.أعد النظر في مراتب الإيمان بالغيب، فبعد الإيمان بالله تعالى يأتي الإيمان باليوم الآخر ثم الملائكة، ثم الكتاب، فالنبيين. ولو أعملت فكرك في (الملائكة والكتاب والنَّبيّين) لتبادر إلى ذهنك أن هذا الترتيب ربما يكون فيه إشارة إلى تشريف الملائكة الذين جاء عطفهم بعد الإيمان بالله واليوم الآخر، ثم بعد الملائكة يأتي عطف الكتاب المراد به القرآن، وقيل جنس كتب الله تعالى (الزمخشري، ١٤٠٧، ج ١، (٢١٨) والذي يبدو لي – والعلم عند الله – أن المقصود هنا جنس الكتاب بدلالة أنه تقدمه لفظ (الملائكة) وتلاه لفظ (النبيّين)وأما دلالة مجيء عطف الكتاب والنبيين بعد الملائكة، فمرده – والله أعلم – إلى أن الملائكة هم المبلغون الرسل عن ربهم إذ قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١ ﴾ [الشورى: ٥١] ، والذي أراه – والعلم عند الله – أن ورود عطف الكتاب بعد عطف الملائكة مرده إلى كون الملائكة هم الواسطة بين الله تعالى وأنبيائه عليهم السلام – في تبليغ الرسالات، لذا جاء لفظ (النَّبيّينَ) آخرًا.وأرى أن توسط لفظ (الكتاب) بين الملائكة) و (النبيين) فيه تعظيم لكتاب الله تعالى، إذ نزل به خير الملائكة على خير البشر ، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٤]، وفيه تشريف للملائكة الذين اختصهم الله بالنزول بالكتاب، وتشريف للمرسلين الذين أنزل إليهم، ويلفت النظر في هذا السياق أن العطف على الإيمان بالله تعالى أكسب المعطوفات منزلة عظيمة، لأنها معطوفة على أمر عظيم.ولعل سائلا يسأل، فيقول: أليس كلام الله الذي نزل به الملائكة أعظم منهم، فلماذا جاء (النبيين) بعد (الملائكة) في سياق العطف في الآية؟ فنقول: نحسب أن الواو هنا أفادت الترتيب، وإنما قدم الملائكة لشرفهم بشرف الكتاب، مع اعتبار كونهم الواسطة بين الله تعالى، وبين أنبيائه المرسلين.وكان تعدد المعطوفات متماشيا مع السياق، إذ إن الخطاب في هذه الآية إما أن يكون للمؤمنين على رأي ابن عباس ومجاهد، وإما أن يكون موجها لأهل الكتاب على رأي قتادة والربيع، لأنهم اختلفوا في التوجه والتولي، فاتجه اليهود إلى بيت المقدس، واتجه النصارى إلى المشرق مطلع الشمس، وتكلموا في تحويل القبلة، وفضل كل فريق توليهم، فجاء القرآن ليقول لهم : ليس البر ما أنتم فيه ، ولكن البر من آمن بالله ابن عطية، ١٤٢٢هـ ، ج٢٤١/١؛ والقرطبي ١٩٦٤، ج ٢/ ٢٧٣)وقيل : كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر تحويل القبلة، فقيل لهم: ليس البر العظيم الذي يجب أن يذهلكم عن سائر صنوف البر أمر تحويل القبلة، ولكن البر الحق الذي يجب أن يهتم به، وتصرف الهمة إليه بر من آمن بالله واليوم الآخر، وقام بهذه الأعمال الزمخشري، ١٤٠٧هـ ، ج ٢١٧/١)وإذا كان الخطاب موجها للمؤمنين فقط، فإنه يعني أن البر كاملا لا يكون في الصلاة وحدها (العز بن عبد السلام، ١٩٩٦م، ج ١/ ١٨٢) بدلالة: (أن تُوَلُّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب).

٢ - قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨ ﴾ [البقرة: ٨]، في هذه الآية المباركة اقتصر على عطف الإيمان باليوم الآخر على الإيمان بالله عطفا ترتيبيا، ولم تتعدد المعطوفات، والذي أحسبه وراء هذا الاقتصار أن السياق الذي وردت فيه يخص

المنافقين، فقد نقل الطبري إجماع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق الطبري ، ٢٠٠٠م، ج ١/٢٦٨). ولعل سبب ذلك أن الإيمان بالله واليوم الآخر يقتضي الإيمان بما ذكر من المعطوفات في الآية السابقة، فضلا عن أن السياق في الآية السابقة كان سياق تذكير بأعمال البر . والله أعلم.

3- قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤]، الوَقُودُ : الحَطَبُ والوُقُودُ الاتقاد الفراهيدي، ج ١٩٧/٥، والهروي، ٢٠٠١، ج ١٩٥/٥). أخبر الله تعالى مُخوّفًا أَنَّ وَقُودها الناس، والحجارة، وأنه أعدها للكافرين. فأما كون الناس حطبا لها فبدلالة قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [غافر : ٦٩-٧٢] ، ومعنى يُسجَرُونَ: أنهم يُطرحون في النار فيكونون وقُودًا لها (مجاهد، ١٩٨٩م، ٥٨٤، والقرطبي، ج ٣٣٣/١٥)قال الخليل: السَّجُورُ اسم للخطب الفراهيدي، ج (٥٠/٦) ، وعلى هذا فإنَّهم لِجَهَنَّمَ بمثابة الحطب للنار، وينبغي أن يُعلم أنه ليس النَّاسُ كلهم وقودها بدلالة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، ووردت عن السلف أقوال في أن الحجارة هي حجارة الكبريت، قال الطبري: حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا أبو معاوية عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة الزراد عن عبد الرحمن بن سابط، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن مسعود في قوله : (وَقودُها النَّاسُ والحِجَارَة) قال: هي حجارة من كبريت، خلقها الله يوم خلق السماوات والأرض في السماء الدنيا، يُعدها للكافرين، وفي رواية أخرى عن ابن مسعود أيضا، قال: حجارة الكبريت جعلها الله كما شاء الطبري ، ٢٠٠٠م، ج ٣٨١/١)، وذكر بعض المفسرين أنها جميع أنواع الحجارة، تعظيما لها، وتخويفا منها السمعاني، ١٩٩٧، ٥٩)ولما كان المقام مقام تخويف، فإن التعبير القرآني راعى تخويفهم بأشد ما يعرفون وليس على الأرض شيء أشد إيلاما من النار (الزجاج، ١٩٨٨م، ج ١٠١/١)، فضلا عن ذلك فإنَّ وقودها الناس والحجارة، وربما كان عطف الحجارة على الناس سببه أن القرآن أخبر عن القاسطين في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الجن: ١٥]ولما كان الحطب أول ما تسعر به النَّارُ فإن كونَ النَّاسِ مقدمين على الحجارة في جملة العطف هو الأولى، خصوصا أن سجر النار بما ليس من شأنه الاحتراق أبلغ في التخويف، إذا ما أخذنا بالاعتبار قول من قال إن الحجارة هي حجارة الكبريت التي من شأنها الاحتراق، أو لأن الحجارة المقصودة هي الأصنام، المصنوعة من الحجارة، التي كانوا يعبدونها من دون الله (البغوي، ١٤٢٠هـ ، ج ٩٤/١) ، فهم قرنوا أنفسهم بها في الدنيا، فكانت معهم وقودا للنار في الآخرة (الزمخشري، ج ١٠١/١)، بدلالة قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الأنبياء : ٩٨]، وإنما عطفت الجمادات على الأحياء ترتيبا، لأن الكافرين هم المتوعدون بالنار، والمعنيون بالعذاب، وأنَّ النَّارَ ستُسعرُ بهم، فضلا عن أن الحجارة تزيد الناز سعيرا، فلاءم أن تكون معطوفة على الناس من أهل الكفر على سبيل الترتيب، فقد جاء خبرهم في القرآن في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠]وأحسب كذلك أن عطف الحجارة على الناس مرده أن جهنم مختلفة عن غيرها من النيران، كونها لا تتقد إلا بالناس والحجارة، أما غيرها فإن أريد إحراق النَّاسِ بها، أو إحماء الحجارة أوقدت أولا، ثم يُطرح فيها ما أريد إحراقه أو إحماؤه الزمخشري، ج ١٠١/١)، وهذا أبلغ في موضع التهديد والوعيد. والله تعالى أعلم.

٤ - قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [البقرة: ٩٧]، أي: هدى من الضلالة وبشرى للمؤمنين بالجنة الماتردي، ٢٠٠٥م، ج ٥١٧/١ ، والواحدي ، ١٩٩٤م، ج ١٧٩/١)ولما كان السياق في ذكر جبريل عليه السلام، وتنزيل القرآن الكريم على قلب النبي صلى الله عليه وسلم فإن عطف (بشرى) على (هدى) من باب أن الهدى الناشئ عن الإيمان بالقرآن هو العلة في تبشير المؤمنين بالقرآن المهتدين به بالجنة بدلالة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾ [يونس : ٩]، وبدلالة قوله جل وعلا: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه: ٨٢]، وعلى هذا فإن الواو العاطفة أفادت الترتيب، وكأن المعنى: إيمان ثم اهتداء ثم بشرى، إذ لا يستقيم عطف (هدى) على (بشرى)، وإنما البشرى للمهتدين. والله أعلم.

٥- قال تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٩] ، كان الخطاب الكريم موجها إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول لليهود والنصارى – الذين قالوا له ولأصحابه: كونوا هودا أو نصارى تهتدوا، مع زعمهم أن دينهم خير من دينه – عليه الصلاة والسلام – وكتابهم خير من القرآن العظيم، لأنه كان قبله نزولا، وزعموا أنهم أولى بالله من أجل ذلك – أتحاجوننا في الله ،وهو ربنا وربكم، وهو الذي بيده الخير، وإليه الثواب والعقاب والجزاء على الأعمال صالحها وسيئها، فتزعمون أنكم أولى بالله منا ، لأن نبيكم كان متقدما زمانًا، وكتابكم كذلك ؟ وربنا وربكم واحد، وأن لكل من الفريقين ما عمل واكتسب من الصالحات، والسيئات، يُجازى عليها، فيُثاب أو يُعاقب، لا على النسب والقدم في الدين الطبري، (٢٠٠٠م، ج ١٢١/٣)وأحسب أن عطف (ربُّكم) على (رَبُّنا) سببُهُ أن اليهود والنصارى، وإن كانوا متقدمين زمانًا، فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – وأتباعه أخلصوا الله تعالى العبادة والطاعة، ولم يُشركوا بعبادته أحدًا، كما عبد أهل الأوثان أوثانهم، وأصحاب العجل عجلهم الطبري، ٢٠٠٠م، ج ٣/ ١٢١)، ولما كان المؤمنون هم أولي الفضل والخيرية فقد عطف (ربكُم) على (ربنا)، والله تعالى يقول: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ويصدق ذلك ما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال:(نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا، فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَدَانَا اللهُ لَهُ – قَالَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ – فَالْيَوْمَ لَنَا ، وَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى) (مسلم، ج ٥٨٥/٢)، وبناءً على ما سبق ذكره فإن الواو أفادت العطف ترتيبا لأجل الفضل والخيرية. والله أعلم.

٦ - قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، الذي يهمنا في هذا الموضع عطف (نوم) على (سنة)، السنة من النعاس ابن دريد، ١٩٨٧م، ج ١٣٥/١)، ويقال: وَسِنَ فُلانٌ: أَخَذَهُ شبه النعاس، وَعَلَتَهُ سِنَةٌ، ورجلٌ وَمِنٌ وَسنان، وامرأة وسنانة وَوَسنى: (الفراهيدي، ج ٣٠٣/٧) وحقيقة النعاس: السنة من غير نوم (الزبيدي، ج ١٦/٥٥٧)، والنوم يكون بعد النعاس.. يغفل عن تدبير شؤون الخلق. ولما كان الأمر كذلك، فإن الله تعالى انتفت عنه صفات النقص، ولما كان النعاس منتفيًا عنه سبحانه وتعالى، فإن انتفاء النوم من باب الأولى، وذلك لأن النوم لا يكون إلا بلعاس يسبقه. قال عدي بن الرقاع: (من الكامل)وَسَنانُ أَقصَدَهُ النُّعاسُ فَرَنَّقَت ..... في عينه سنة وليس بنائم (ديوانه (١٠٠) ولما انتفى عنه سبحانه ما يقتضي الغفلة اليسيرة وهو النعاس – فإن انتفاء النوم عنه من تمام كمال صفاته. وعلى ما سبق فإن الواو العاطفة في هذا الموضع أفادت الترتيب، لأنَّ الوَسَنَ سابق النوم. والله أعلم.

7- قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة: ٩٨]، قال بعض اللغويين منهم يونس بن حبيب النحوي: إن الرُّمان والنخل من أفضل الفاكهة، وإنما فصلاً بالواو لفضلهما، في قوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الرحمن : ٦٨]، واستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ ، وحاصل ما سبق أن جبريل وميكال – عليهم السلام من الملائكة (الزجاج، ١٩٨٨م، ج ١٠٣/٥). أما سبب عطف الرسل على الملائكة فيمكن رده إلى أجماع أهل التفسير أن اليهود قالوا : جبريل عدونا ، حين سألوه عمن يَجِيئهُ من الملائكة، فقال عليه الصلاة والسلام: جبريل، فلما ذكره لهم قالوا : ذاك عدونا، لأنه بزعمهم ملك الحرب والشدائد والجدب (المحل : نقيضُ الخصب. ابن منظور، ١٤١٤هـ ، ، ج ٢٥٤/١)، ولو كان الذي يجيئك من الملائكة ميكائيل مَلَكُ الرَّحمَةِ والخصب لا تبعناك ابن عطية، ١٤٢٢هـ ، ج ١٨٢/١). ولما كان عدو اليهود الأول هو الله فقد عطف الملائكة على اسم الجلالة ثم عطف الرُّسُلُ على الملائكة؛ وأحسب والعلم عند الله أن كون الملائكة واسطة بين الله تعالى ورسله وراء هذا العطف الترتيبي الذي أفادته الواو.ولو كان القول: (الله ورسله وملائكته) فإنَّه لا ينسجم مع السياق، إذ إن اليهود صرحوا بعداوة جبريل عليه السلام – فكان الأولى عطف الرسل على الملائكة في سياق العداوة. وفي الآية الكريمة دليل واضح على الترتيب بالواو التي عطف به ميكال على جبريل، للسبب المسابق نفسه، وهو التصريح بمعاداتهم أفضل الملائكة جبريل (عليه السلام). ولما كان عداء الملائكة والرُّسُلِ كفرًا بالله، فإن تقدم اسم الجلالة كان أنسب في العطف عليه ترتيبا . والله أعلم.

الأنبياء

١- قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٣]، في الآية عطف (مُنذِرِينَ) على (مُبَشِّرِينَ). والمقصود : مُبَشِّرِينَ بالثَّوابِ من آمن وأطاع، ومُحَذِّرِينَ بالعقاب من كفر وعصى (البغوي، ١٤٢٠هـ ، ج ٢٧٢/١ ، والقرطبي، ١٣٨٤هـ ، ج ٣١/٣). ولعل سائلا يقول: ما العلة من هذا العطف؟ فأجيبه بأني لم أجد من أجاب عن هذا على حد بحثي، لكن يتراءى لي أن الأنبياء إنَّما يُرسلون إلى أقوام كافرين معاندين، فإن أُنذِرُوا ابتداءً كان ذلك مدعاة لنفورهم، وزيادة طغيانهم، فإن هم آمنوا وأثرت البشارة في نُفُوسِهم أُنذِرُوا من العذابِ الغليظ. والسياق القرآني يشير إلى أن دأب الأنبياء كان بالبشارة ثم الإنذار، وذلك بدلالة قوله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الكهف: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥]، ولعل عطف (مُنذِرِينَ) على (مبشرين) من باب أَنَّ الرُّسُلَ يُبَشِّرُونَ أقوامهم ابتداء، فإن كفروا وعاندوا وظلموا أنذروهم العذاب وسوء المال بدلالة قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [غافر : ١٨].وجاء التفصيل في كون البشارة للمؤمنين، والإنذار للكافرين في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ ﴾ [الكهف: ١ – ٤] ، وعلى هذا يمكن القول إن العطف جاء ترتيبا، والله تعالى أعلم بالصواب.

٢- قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٢] ، العطف أفاد الترتيب في هذه الآية؛ لأن إبراهيم (عليه السلام) أسبق وجودًا من يعقوب حفيد نبي الله إبراهيم، فضلا عن أن إبراهيم أفضل من يعقوب، فهو أبو الأنبياء والموحدين بدلالة قوله تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِـۧمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨] وبدلالة قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء: ١٢٥].وفي الحديث: (أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين) (أحمد، ٢٠٠١م، ج٧٧/٢٤) . ولما كان البيت الحرام أول بيت وضع للنَّاسِ، فَإِنَّ الأفضل أولى به من الفاضل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٦ – ٩٧]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧]، فضلا عن ذلك، فإن إبراهيم عليه السلام أوتي الصحف المباركة بدلالة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى : ١٨ – ١٩]، ولأجل ذلك كله كان عطف يعقوب بالواو ترتيبا . والله تعالى أعلم وأحكم بالمراد.

٣- قال تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٣]، الذي يعنينا في هذه الآية سبق عطف إسماعيل، وكلاهما ابن الإبراهيم عليه السلام.والسبب في هذا العطف الترتيبي ناشئ عن أفضلية إسماعيل عليه السلام، إذ هو الذبيح، وإن كان الخلاف موجودًا في مسألة أيهما

الذبيح، أهو إسماعيل أم إسحاق؟ ذكر ابن تيمية رحمه الله – في المسألة مذهبين مشهورين، وكل منهما منقول عن طائفة من السلف، وذكر أبو يعلى ، روايتين عن الإمام أحمد أنه إسحاق عليه السلام، ونقل ذلك عن الإمام مالك نفسه، لكن خالفه من أصحابه طائفة، وذكر الشريف أبو علي بن أبي موسى أن الصحيح من مذهب أحمد أنه إسماعيل عليه السلام ، وهو القول الذي رواه عبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله عن الإمام أحمد، قال: مذهب أبي أنه إسماعيل. وفي الجملة فالنزاع مشهور في هذه المسألة، لكن الذي يجب القطع به أنه إسماعيل، وهو الذي عليه الكتاب والسنَّة، وتدل عليه التوراة التي بأيدي أهل الكتاب (ابن تيمية، ج ٤/ ٣٣١)ولما كان إسماعيل هو الذبيح، فهو الأفضل وهو المُقدَّم فضلا عن أن ولادته كانت قبل ولادة إسحاق عليهما السلام مكي بن أبي طالب، ٢٠٠٨م، ٤٥٨/١)، إذ كانت البشارة بإسحاق وقعت لسارة، وكانت قد غارت من هاجر أم إسماعيل لما ولدته، وأمر الله تعالى إبراهيم أن يذهب بإسماعيل وأمه إلى مكة (القرطبي، ١٣٨٤هـ ، ج ٣٧٠/٩)، ولهذا كان عطف إسماعيل ثم عطف إسحاق بالواو ترتيبا، وقد روعي في هذا العطف سبق الوجود، وفضل إسماعيل كما أسلفنا. والله تعالى أعلم بالمراد من هذا.

٤- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾[البقرة: ٢٤٧]أدرجنا هذه الآية مع آيات الأنبياء مراعاة لقوله تعالى: (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ). السياق الذي وردت فيه الآية سياق قتال وقد أخبروا أن الله أجابهم إلى ما سألوه من بعث طالوت ملكا يقاتل ويقاتلون معه، وأن الله زاده بسطة في العلم بالحرب ، وزاد جسمه طولا، فكان يفوق الناس برأسه ومنكبيه، وإنَّما سمي طالوت لطوله الواحدي، ١٩٩٤م، ج ١/٣٥٧). وهذه الزيادة أهم ما ينبغي توفره في القائد المُمَلَّك إبان الحرب والقتال. أما علة عطف الجسم على العلم فتكمن في أَنَّ السَّعَادَةَ الْعِلْمِيَّةَ رَاجِحَةٌ عَلَى السَّعَادَةِ الْجُسْمَانِيَّةِ ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ [يوسف: ٥٥].وقالوا الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ». الْمَعْنَى أَنَّا لَوْ أَزَلْنَا عن الإنسان إدراكه الذِّهْنِي وَالنُّطْقَ النِّسَانِي لَمْ يَبْقَ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا الْقَدْرُ الْحَاصِلُ فِي الْبَهَائِمِ (الرازي، ١٤٢٠هـ، ج٤١٨/٢).قال زهير بن أبي سلمى:

من الطويل لِسَانُ الْفَتَى نَصِفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

(ديوانه : ٢٩)ولعل طبيعة الحرب، وما تقتضيه من خدعة، وفنون قتال، فإنَّ الحاجة إلى العلم أولى. وكم أبيدت جيوش قوية عبر التاريخ كانت قياداتها مفتقرة إلى العلم، وحسن التدبير ! ولعلي أستأنس في مقامي هذا بقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٥] ، وذلك من أجل أن أهل الشرك قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب من الله، ولا لطلب أجر ، لأنهم لم يفقهوا أن الله موجب لمن قاتل في سبيله – احتسابا وطلب موعوده الله في الآخرة ما وعد عباده المجاهدين في سبيله، فهم لا يثبتون في اللقاء، خشية أن يُقتلوا فتذهب دنياهم الطبري، ٢٠٠٠م، ج ٥٠/١٤)وعدم الفقه هذا وإن كان يخص أمور الآخرة والثواب والعقاب، لكن يؤخذ منه جهل المشركين، ما يجعلهم أبعد من العلم. والله أعلم وأحكم.

٥- قال تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، قال أبو عبيد معمر بن المثنى : لم يتسنه : لم تأت عليه السنون فَيَتَغَيَّرُ ، وهذا من قول من قال للسنة: سنية بالتصغير)، وليس من الأسن المتغير، ولو كان من الأسن لكانت: لم يتأمن (مجاز القرآن: ٨٠)وذهب الزجاج إلى خطأ من قال إنه من أمِنَ الطَّعَامُ يَأْسَنُ، وذكر تجويز بعض النحويين أن يكون من التغيير (معاني القرآن وإعرابه: ج ٣٤٣/١). وذكر الفراء الوجهين، أما الأول: أنه لم يتغير بمرور السنين عليه، مأخوذ من السنة، والهاء من أصله من قولك: بعثه مسائية، تثبت وصلا ووقفا، وأما الآخر : فمأخوذ من التغير بدلالة قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحجر: ٢٦]، أي متغير (الفراء: ١٧٢/١). وأيا كان الأصل، فإن التغييز قد وقع على الطعام والشراب، والذي يهمنا في هذا الموضع عطف الشراب على الطعام، وما فيه من دلالة ذكر الواحدي أن طعامه كان تينا، وأن شرابه كان عصيرا (الوجيز : ١٨٥). وقال القرطبي: تين أخضر، وعنب، وركوة من خمر، وقيل من عصير، وقيل قلة، ماء هي شرابه (القرطبي، ١٣٨٤هـ ، ج ٣/٢٨٩)، والذي نذهب إليه أن شرابه كان ماءً، لأنه أنفع ما يكون للمسافر، وأيسر تحصيلا، وأرى أن عطف الشراب على الطعام من باب أن الطعام أسرع تلفا وتغيرا من

الشراب، سواء كان ماء أو عصيرا أو خمرا، فالماء يُحزن زمنًا طويلا، والشراب إذا كان عصيرًا كذلك يمكن خزنه في الظروف الطبيعية لفترة أطول مما لو أريد حفظ الطعام.وعلى هذا فإن العطف بالواو أفاد ترتيبا، وهناك ملمح بياني، إذ السياق سياق إعجاز وإحياء بعد الموت، فذكر ما هو في أصله أقرب للتغير والتلف، فكان ذلك مناسبا لمعجزة إحياء عزير بعد أن أماته الله مئة عام. والله أعلم وأحكم.

العبادة

١ - قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ ﴾ [البقرة: ١٥٣]، الصبر : الحبس في اللغة ابن دريد، ١٩٨٧م، ج ٣١٢/١)، قال القرطبي: وصبرت نفسي على الشيء: حبستها. وأمر الله تعالى عباده بالصبر على طاعته وبالصبر عن مخالفة أمره، فإذا صبروا عن المعاصي فقد صبروا على الطاعات. وإذا صبر العبد صبرا مطلقا فهو على ما ذكر الله تعالى (القرطبي، ج ٣٧٠/٩): ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠ ﴾ [الزمر : ١٠]، ورد ذكر الصبر في القرآن في أكثر من سبعين موضعا، وهذا دليل على عظيم منزلته في الإسلام، حتى قال بعض أهل العلم: كل الحسنات أجرها محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلا أجر الصبر، فما له من حصر ابن جزي، ١٤١٦هـ ، ١٠٣).قال الواحدي استعينوا على طلب الدار الآخرة بالصبر على الفرائض وبالصلوات الخمس على تمحيص ذنوبكم الواحدي : (١٣٩). وقال قوم: الصبر هو الصوم، وقيل لرمضان شهر الصبر (ابن عطية، ج ٢٢٧/١).والذي نراه في هذا المقام أن عطف الصلاة على الصبر من باب أن الاستعانة ناشئة عن ضعف الإنسان، ونقصه، وحاجته إلى ربه حاجة مطلقة، وفقره إلى رحمته فالصبر أمر ذاتي في نفس الإنسان، لكن ذلك غير كاف إلا بمعونة الله سبحانه وتعالى، وكأن العبد يطلب بصلاته معونة ربه جل جلاله. خصوصا إذا علمنا أن الصلاة في اللغة هي الدعاء (الكفوي، (٨٠٤). ويؤيد قول الواحدي ما ذهبنا إليه، فالصبر يُستعان به على الفرائض، ويستعان بالصلوات الخمس على تمحيص الذُّنوب. ولما كان أداء الفرائض – ومنها الصلاة – يتطلب الصبر على ذلك، وأن الغاية منها نفي الذنوب عن العبد، فإن عطف الصلاة على الصبر جاء ترتيبا. والله أعلم بالصواب.

٢– قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥]، قال الزجاج: معنى طهرا، أي امتعاه من تعليق الأصنام عليه والطائفون هم الذين يطوفون بالبيت الحرام، والعاكفون هم المقيمون به، ويقال قد عَكَفَ يَعكُفُ وَيَعْكِفُ على الشيء عُكوفاً أي أقام عليه الهروي / عكف ج٢٠٦/١) ، ومن هذا قول الناس: فلان معتكف على الحرام، أي مقيم عليه، والركع السجود سائر من يُصلي فيه من المسلمين (الزجاج، ج ٢٠٧/١).والذي يظهر أن العطف على الطائفين لأنهم أقل من العاكفين الذين هم أقل عددًا من الركع السجود. قال عطاء رحمه الله: إذا كان طائفا بالبيت فهو من الطائفين، وإذا كان جالسا فهو من العاكفين، وإذا كان مصليا فإنه من الركع السجود الواحدي، ج ٢٠٨/١). فالعطف هنا ترق من الأقل إلى الأكثر. والله أعلم.

٣ - قال تعالى: ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، جاء (اليتامى) معطوفا على ذوي القربى)، ثم عطف (المساكين)، ثم ابن السبيل)، ثم (السائلين)، ثم في الرقاب).أورد المفسرون رحمهم الله – تعليلات لهذه العطوف، فقيل: ذوي القربى وما بعده) يكون كل واحد معطوفا على الأهم منه. فالعطف متعلق بتقديم الأهم فالأهم والأفضل؛ وذلك أن الصدقة على ذوي القربى فيها فضيلتان : الصدقة، والصلة، على خلاف الصَّدَقَةِ على من بَعدَهُم، ثم اليتامى والعلة في مجيء اليتامى عطفا على ذوي القربى أنهم صغار، وهم مظنة الحاجة، ثم يُعطف المساكين للحاجة خاصةً، ثم ابن السبيل، وهو الغريب المنقطع، وقيل الضعيف، وقيل إنَّه الضيف الزمخشري، ج ٢١٩/١)، ثم السائلين النَّاسَ وإن كانوا من غير ذوي الحاجات، ثم – وفي الرقاب المؤول بفك الرقاب، أي عتقها ابن جزي، ج١٠٨/١)، والقرطبي، ج٢٤١/٢) فكان الابتداء بذوي القربى ثم عطف اليتامى عليهم؛ لأن قرابات الرَّجُلِ أولى من يُعطى الصدقة بدلالة قوله صلى الله عليه وسلم: الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرَّحِمِ اثنتان:صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ . (صحيح ابن حبان محققا، ج ١٣٣/٨). وقد يسأل سائل فيقول : ما السبب في تأخير (وفي الرقاب التي جاءت آخر المعطوفات؟ فنقول: تعددت أقوال المفسرين، فقيل في معاونة المكاتبين كي يفكوا رقابهم (الواحدي / الوجيز : ١٤٦) ، وقيل في ابتياع الرقاب ثم إعتاقها في سبيل الله تعالى، وقيل: فك الأسارى (الزمخشري ، ٢٢٠/١) والذي أراه أن هذه المعاني كلها واردة، لكن العلة في مجيء (وفي الرقاب آخرا، أن المقصود فيما أراه، والعلم عند الله إنَّما هو فك رقاب المكاتبين، وليس عتق الرقيق بمعناه المعروف، وحسب ما

سبق فإن الواو أفادت العطف ترتيبا. ولو أنَّه العتق المعروف لكان تقدمه أولى، ولذلك قدم في قوله تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾ [البلد : ١١ – ١٨]. والله تعالى أعلم وأحكم.

4-قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، الموضع قوله: (لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة)، لا بيع فيه، أي: لا فداء. ولا خُلةٌ ولا شَفاعَةٌ، أي: لا يَنفَعُ خليل خليله كما كان ينفَعُهُ في الدُّنيا، وكذلك لا شفيع تنفع شفاعته كما كانت تنفع في الدنيا. ويُحتمل أن يكون يوم لا بيع فيه بمعنى: أنهم لا يملكون بيع أنفسهم من الله تعالى ما داموا في هذه الحياة، فإذا ماتوا لم يملكوا ذلك (الطبري، ج ٥/٣٨٢–٣٨٣، والماتردي، ج ٢/٢٣٣)، بدلالة قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة: ١١١] ، ولما كانَ النَّاسُ لا يملكون بيع أنفُسِهِم عند الله تعالى يوم القيامة، ولا سبيل إلى تحقق ذلك البتَّة، فَإِنْ حَقَّهُ التَّقَدّمُ ويُعطف عليه ما بعده ترتيبا.قال الخليل : الخُلةُ والخُلَّانُ : جماعة خليلهم الفراهيدي – خلل، ج ٤/١٣٩)، ولعل ذكر الخلة معطوفة على البيع الممتع حُصُوله، لأجل أن من شأن الأخلاء أن كل واحدٍ منهم يسدخَلَ صاحبه في المَوَدَّةِ والحاجة إليه. وإذا علمنا أن الأخلاء ما عدا المُتَّقِينَ أعداء لبعضهم يوم القيامة، فإن عطف الخُلَّة على البيع جاء ترتيبا. قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧] ، ثم عطف الشفاعة وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم الأزهري – خلل، ج ٦/٣٠٤).ولعل جعل الشفاعة آخر المعطوفات من باب أن في الشفاعة زيادة فضل، لا غير، فلا يوجد شفعاء يشفعون في خط الواجبات ابن الأثير ، ١٩٧٩م شفع – ج ٢/٤٥٨، ولسان العرب شفع ج ٨/١٨٤)، ولما كان الأخلاء منعدمين فإن الشفاعة المترتبة على وجودهم تنعدم أيضا، ولما كانَ الشَّافِعُ منعدما فإنَّ الشَّفَاعَةَ لا تقع بحال، وعلى هذا فالعطف فيما سبق كان ترتيبا، بحسب استحالة تحقق المعطوفات، وربما كان تأخير الشفاعة في العطف، لأنَّ الشَّافِع قد لا يكون خليلا، أما الخليلُ فَإِنَّهُ يَشْفَعُ لو أَذِنَ لَهُ ورضيت شفاعَتُهُ. والله أعلم.

٥ – قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٤]، اختلف المفسرون في سبب نزولها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في علي رضي الله عنه ، كانت معه أربعة دراهم فأنفقها كلها على أهل الصفة ، إذ أنفق في سواد الليل يرهما، وفي وضح النهار درهما، وأنفق سرا درهما، وعلانية درهما، قال هذا ابن عباس والثاني: أنها نزلت في النفقة على الخيل في سبيل الله، لأنهم ينفقون بالليل والنهار سرا وعلانية، وهذا قول أبي ذر، والأوزاعي.

والثالث: أنها نزلت في كل من أنفق ماله في سبيل الله (الماوردي، ١/٣٤٧). والذي يظهر لنا أن عطف (علانية) على (سرا) كان لأجل أن المنفق سرا في سبيل الله أفضل منزلة وأعظم أجراء بدلالة الوحيين، ففي التنزيل قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرعد: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣١]. وفي الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ). (البخاري، ١٤٢٢هـ ، ج ٢/١١١). وعلى هذا فإنَّ الواو هنا أفادت الترتيب. والله أعلم وأحكم.

النعم وما يتعلق بها

١ -قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ

مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [البقرة: ٦١]، الذي يهمنا من هذه الآية عطف المسكنة على الذلة. قال ابن جرير الطبري: حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر ، عن الحسن وقتادة في قوله: وضربت عليهم الذلة ، قالا يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون (الطبري، ج ١٣٦/٢) ، وجاء في الكشاف أن اليهود صاغرون أذلاء وهم أهل مسكنة ومدقعة إما على الحقيقة الأمر، وإما لتصاغرهم وتفاقرهم، خيفة أن تضاعف عليهم الجزية (الزمخشري، ج ١٤٤/١).والذي يظهر أن الذلة أمر متعلق بالنفوس، والمسكنة متعلقة بظواهرهم. ولما كانت الذلة أعظم وقعا على النفس المغلوبة، فإن عطف المسكنة بالواو عليها ترتيبا هو الوجه إذ يستلزم الذل فقرا ومسكنة. والله – تعالى – أعلم وأحكم.

٢ -قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗاۖ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٥] المثابة قال ابن فارس: (ثَوْبَ النَّاءُ وَالْوَاوُ وَالْبَاءُ قِيَاسٌ صَحِيحٌ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْعَوْدُ وَالرُّجُوعُ يُقَالُ تَابَ يَثُوبُ إِذَا رَجَعَ وَالْمَثَابَةُ : الْمَكَانُ يَثُوبُ إِلَيْهِ النَّاسُ (ابن فارس، ١٩٧٩م، ج ٣٩٤/١). وعَنْ مُجَاهِدٍ أنه قال في قَوْلِهِ تعالى : (مَثَابَةً لِلنَّاسِ) أَنَّهُم لَا يَقْضُونَ مِنْهُ وَطَرًا أَبَدًا، وَ(أَمْنًا)، أي: لَا يَخَافُ مَنْ دَخَلَه مجاهد : ٢١٤). ولما كان الأمن متحققا بدخول البيت الحرام، فإن عطف (أمنا) على (مثابة) جاء ترتيبا، وذلك بدلالة قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وحسب ما ورد فقد أفادت الواو الترتيب وليس مطلق الجمع، إذ السياق يقتضي هذا الذي ذهبت إليه، فالأمن وُجِدَ بعد أن جعل الله حرما. والله – تعالى أعلم وأحكم.

المعاملات

١–قال تعالى : ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٧)، (فَلا رَفَثْ) فيه ثلاثة أقوال: أحدها : أنه الجماع ، وهو قول ابن عمر، والحسن ومجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، والزهري، والثاني: أنه الجماع أو التعرض له بمُوَاعَدَةٍ أو مُدَاعَبَةٍ (مقدماته)، وهو قول الحسن البصري. والثالث: أنه الإفحاش للمرأة في الحرم ، كقول الزوج لزوجه: إذا أ بك كذا من غير كناية، وهو قول ابن عباس، وطاووس. (ولا فسوق) فيه خمسة أقوال: **أحدها**: أنه فعل ما لهي عنه في الإحرام، من قتل الصيد، وحلق الشعر ، وتقليم الظفر، وهو قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. **والثاني**: أنه السباب، وهو قول عطاء، والمندي. **والثالث** : الذبح للأصنام ، وهو قول عبد الرحمن بن زيد. **والرابع**: التنابز بالألقاب، وهو قول الضحاك. **والخامس**: المعاصي طارون كلها، وهو قول ابن عباس ، والحسن، ومجاهد ، وطاووس ولا جِدَالَ فِي الْحَجِ) فيه ستة تأويلات أحدها هو أن يجادل الرجل صاحبه ، يعني يعصيه ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد. الثاني: هو الشباب، وهو قول ابن عمر وقتادة، والثالث: أنه المراء والاختلاف فِيمَنْ هو أَبَرُّهُم حجا، وهذا قول محمد بن كعب. والرابع: قول من قال إنه اختلاف كان يقع بين الحجاج في اليوم الذي يكون فيه حجهم، وهذا قول القاسم بن محمد والخامس: أنه اختلافهم في مواقف الحج، أيهم أصاب موقف إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهذا قول ابن زيد. والسادس: أن معناه الا جدال في وقته لاستقراره وتحديده، وإبطال الشهر الذي كانوا ينسؤونه في كل عام، فربما حجوا في ذي القعدة، أو ربما حجوا في شهر صفر، وهذا ذكره ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى. (الماوردي، ج ٢٥٩/١)الذي يظهر لي أن الترتيب كان من الأدنى إلى الأعلى فالرَّفث على أنه الجماع أو مقدماته أهون من المعاصي الأخرى التي ذكرها العلماء من السلف، وأهل التفسير، وأعظم ذلك كله الجدال في وقت الحج، فأبطل النسيء، واستقام الحج كما هو اليوم، وبطل ما كان يفعله النسأة في تأخيره الواحدي البسيط، ٣٤/٤) ، ولما كان الأدنى منفيا في الحج نفيا مطلقا، فإن ما هو أعظم حري بالنفي من باب أولى، ولو عدنا إلى النص لوجدنا أهون ما ذُكِرَ الرَّفْثَ وهو ليس محرما في ذاته، بل هو منهي عنه بدلالة النفي في حال الحج.

٢ -قال تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، قال البغوي: أزكى لكم: خير لكم، وأطهر لقلوبكم من الريبة، وذلك أنه كان في نفس كل واحد منهما علاقة حيث لم يُؤمَن أن يتجاوز ذلك إلى غير ما أحل الله لهما، ولم يُؤمن من الأولياء أن يسبق إلى قلوبهم منهما ما لعلهما أن يكونا بريئين منه فيأثمون (البغوي، ج٣١٢/١، والواحدي الوجيز، ج ١٧٢/١).وذكر السمين الحلبي أن الخطاب في (طلقتُم) للأزواج، وفي (فلا تَعْضُلُوهُنَّ) للأولياءلما فيه من البعد من حيث كان الطلاق لا يُنسب إليهم إلا بطريق مجازي بعيد، وهو جعل تسببهم

بالطلاق طلاقا، كذلك ذكر قولا مفاده أن الخطاب في (طَلَّقْتُم) وفي (فَلا تَعْضُلُوهُنَّ) للأزواج، فنسب العضل إليهم، لأنهم كانوا يُطلقون ويأبون أن تتزوج المرأة بعدهم قهرا وظلمًا (السمين الحلبي، ج ٤٥٩/٢) ، وابن عاشور ، ١٩٨٤م، ج ٢٤٦/٢)والذي أراه أن الخطاب في (طلقتُم) للأزواج، وفي فلا تَعْضُلُوهُنَّ للأولياء، وهذا ظاهر، فالأولياء يُزوجون ابتداء، والأزواج يُمسكون، أو يُطلقون. وهذا ما جرت به العادة وعليه اللغة، إذ العضل المنع من التروج، وَعَضَلَ الرَّجُلُ أَيمَهُ، إذا لم يُزوجها (ابن دريد – عضل – ج ٩٠٤/٢، والأزهري – عضل – ج ٣٠٠/١).وأذكر هنا كلامًا أراه غاية في الدقة للطاهر بن عاشور الذي يرى أن المراد من هذه الآية مخاطبة أولياء النساء المطلقات بألا يمنعوهن من مراجعة الأزواج بعد أن أمر المفارقين بإمساكهن بمعروف، مع ترغيبهم في ذلك، إذ عُلِمَ أنَّ المرأة إذا رأت من الذي كانت تألفه رغبة فإنَّها لا تلبث أن تقرن رغبته برغبتها، لأنها سريعة الانفعال، وإذا تحقق منع فإنه يكون من جهة الأولياء (ابن عاشور، ج ٤٢٦/٢)أما عطف (أطهر) على (أزكى)، فالذي يبدو والعلم عند الله أن (أزكى) للمخاطبين أنفسهم، و (أطهر) للقلوب، وذلك لما عرف من شأن الأولياء في الجاهلية وما قاربها أنهم كانوا يانفون من أصهارهم عند حدوث الشقاق بينهم وبين ولاياهم، وربما كانوا يرون الطلاق استخفافا بأولياء المرأة، فحملتهم حميتهم على الانتقام من الأزواج إذا رأوا منهم ندامة ورغبة في المراجعة، فضلا عما ذكره البغوي وغيره من الريبة لما كان في نفس كل واحد منهما من العلاقة، التي لا يؤمن معها الوقوع في محرم. ولما كان العرب أهل حمية، فإن كثرة الأصهار أزكى لهم من حيث أن الزكاة من معانيها الزيادة والنماء، والصلاحُ الفراهيدي – زكا – ج ٣٩٤/٥ ، والأزهري – زكا – ج ١٧٥/١٠) وبالمراجعة بين الزوجين تتحقق صلتهم بأصهارهم، فتكون زيادة وصلاح، ولعل أقرب المعاني التي اقتضت عطف (أطهر) على (أزكى) القول بأن (أزكى) دال على النماء، كما ذكرنا آنفا، وذلك أنهم كانوا يعضلون النساء حمية، وحفاظاً على المروءة من أن يلحق بها ما فيه شوائب الحطيطة ومثالبها، فأعلمهم الله – تعالى – أن عدم العضل أوفر لأعراضهم، إذ فيه سعي لاستبقاء الود بين العائلات التي تقاربت بالمصاهرة والنسب، و (أطهر) بمعنى أنزه، أي: أقطع الأسباب العداوات والأحقاد، وهذا يصب في الأول على هذا المعنى، فرغبة العرب في الزيادة والنماءالمتأصلة في نفوسهم تتحقق حين تختفي العداوات والأحقاد والإخن. وهذا إذا نظرنا إلى حال العرب، أما إذا نظرنا من ناحية أخرى باعتبار أحوال الدنيا والآخرة، فيكون (أزكى) موافقا لأحوال الدنيا من رغبة في النماء والزيادة، ورغبة في استبقاء الود الذي ينجم عنه كثرة الأصهار والأعوان، وأما (أطهر) فيوافق أحوال الآخرة، إذ جاء بمعنى ما فيه السلامة من الذنوب فيها (ابن عاشور، ج ٤٢٨/٢). وأحسب – والله أعلم أن العطف بالواو أفاد الترتيب باعتبار الوجود الزمني، إذ الدنيا متقدمة وجودًا على الآخرة، ثم باعتبار الوجود الحسي المتمثل بالأصهار المراد كثرتهم، وذهب فخر الدين الرازي إلى أن في أزكى لكم إشارة إلى استحقاق الثواب الدائم، وفي (أطهر) إشارة إلى إزالة الذنوب والمعاصي (الرازي ، ٢٠٠٠م، ج٤٥٧/٦) ولا شك أن تحقق الثَّوابِ الدَّائِمِ مقدم على إزالة الذنوب والمعاصي، وهذا الذي قاله يوافق معنى الترتيب في العطف. والله أعلم.

٢ -قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِۢبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِۢبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۖ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِۢبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، في آية الدين أكثر من عطف، وسنقتصر على عطف (ضعيفًا) على (سفيها) . قوله : (فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا)، اختلف في المراد منه، قال ابن منظور السفية: الخفيف العقل، وهو مأخوذ مِنْ قَوْلِهِمْ: تَسَفَّهْتِ الرياح الشيء إذا اسْتَخَفَّتْهُ فَحَرَّكَتْهُ ابن منظور سفه – ج ٤٩٩/١٤) وَقَالَ ابْنُ سِيدَهْ: مَعْنَاهُ إِنْ كَانَ جَاهِلا أو صغيرًا ابن سيده ، ٢٠٠٠م، ج٢٢١/٤). ومذهب الشافعي: أنه المبدر الذي يُفْسِدُ ماله، وجَاهِلٌ بِالْإِمْلَاءِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَقَالَ الضَّحَاكُ وَالسُّدِّي : طفلًا. وقَوْلُهُ: (أَوْ ضَعِيفًا)، أي: شَيْئًا كَبِيرًا، وَقِيلَ: هُوَ ضَعِيفُ الْعَقْلِ لِعَتَه أَوْ جُنُونٍ (البغوي، ج ٣٩٣/١). قال الزجاج: هُوَ خَفِيف العقل، ويشتمل هذا على المرأة، وَالصَّغِيرِ وَنَحْوه الزجاج، ج ٣٦٢/١)، ولما كان السبب في إملاء الولي متسببًا عن خِفَّة في العقل، فقد كان مناسبا أن يعطف (ضعيفًا) على (سفيها)، فالسفة أصل في السفيه، فرع في الضعيف في حال كونه شيخًا كبيرًا، فرب شيخ ليس به سفة، لذا عطف الفرع على الأصل فأفاد الترتيب. ويقوي ما ذهبت إليه من الترتيب الذي أفاده العطف قوله تعالى: {أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ } أي: لا يقدر على الإملال من خرس، وعمى ونحوه، فقد جاء الأمر تدريجا.

الجهات

قال تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ذكر الطبري وغيره أن اليهود توجهت قبل المغرب شطر بيت المقدس، فهو قبلتهم، وتوجهت النصارى نحق المشرق مطلع الشمس قبلتهم الطبري، ج ٣/٣٨٨ ، وابن جزي، ج ١٠٨/١). ولما كان اليهود أسبق من النصارى وجودًا، فالمراعى في عطف المغرب على المشرق السبق الحدبي، فالسابق الشروق واللاحق الغروب، وليس خلاف ذلك. وبناءً على ما سبق فإن دلالة الواو هنا للترتيب.

العقوبات

قال تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [البقرة: ٧]، قال الزجاج: معنى ختم في اللغة وطبع (معنى) واحد. وهو التغطية على الشيء، والاستيثاق – من ألا يدخله شَيْءٌ، كما قال عز وجل: (أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)، وقوله جل ذكره (كلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ). ومعنى هذا غلب على قلوبهم ما كانوا يكسبون (الزجاج، ج ٨٢/١). ذكر ابن كيسان أقوالا في معنى قوله: {ختم الله على قلوبهم} أحدها: أي: جازاهم على كفرهم بأن ختم على قلوبهم (السمعاني : ٤٦).والذي نحسبه أن عطف السمع على القلوب لأن القلب محل الإيمان والاعتقاد، فكان عقوبتهم أن ختم الله على قلوبهم، ثم ختم على سمعهم لأتم استكبروا على الحق، فما زالوا يعاندون ويستكبرون حتى جوزوا بأنهم لا يتبعون الحق وإن سمعوه صوتا، فهم كمن لا يسمع، ولعل العطف في هذا الموضع كان ذا دلالة ترتيبية. والله أعلم وأحكم.

الكونيات

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤] ، في الآية المباركة مجموعة عطوف تقديرها : (إن في خلق السماوات والأرض، وفي اختلاف الليل والنهار، وفي الفلك التي تجري بما ينفعُ النَّاسَ، وفي إنزال الماء من السماء، وفي بث الدواب في الأرض، وفي تصريف الرياح، وفي السحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات)، في (خلق السماوات والأرض عطف الأرض على السماء، فالسماء أعظم خلقا، وهذا معلوم بالضرورة، على أن الله تعالى خلق الأرض أولا ثم السماء، قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [فصلت : ٩ –١١] ، والذي يظهر لي أن الإخبار كان تدليا من الأعظم خلقًا إلى ما هو دونه، فلا يخرج العطف عن الترتيب، لكن من الأعظم إلى الأدنى منه. وفي اختلاف (الليل والنهار) عطف النهار على الليل، قال البغوي في تفسير ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [يس: ٣٧]، نسلخ ننزع ونكشِطُ منه النَّهار، فيدخلون في الظلمة، ومعناه: تذهب النهار ونجيء بالليل، وذلك أن الظلمة هي الأصل والنهار داخل عليها (البغوي، ٤/١٣). فضلا عن ذلك فإن السياق القرآني يقدم الليل على النهار في أغلب المواضع التي يردان فيها مقترنين. وربما كان عطف الفلك التي تجري في البحار بما ينفع الناس على خلق السماوات والأرض وما ينجم عن حركة الأفلاك من ليل ونهار، من باب أن الفلك تتحرك في البحر كما تتحرك الأجرام في أفلاكها. ثم عطف إنزال الماء كونه من السماء فناسب أن يعطف على محل نشأته، وربما عطف عليه بث الدواب كونه سببًا في حياتها، وفي تصريف الرياح وما تتسبب من إثارة السحاب ما يجعلنا نميل إلى عطف السحاب على مُسَبِّبِهِ، وفي قوله: بين السماء والأرض عطف الأرض على السماء، ربما لأن السحاب يكون في الجو، وحركته بين السماء والأرض. والله أعلم.وفي كل موضع تقدم ذكر السماء على الأرض، فإن ثمة علة للتقديم، يراد منها دلالة غير دلالة الأسبقية في الخلق. والله أعلم.

أخرى قال تعالى: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ٥٣]، الكتاب والفرقان: اسمان لشيء واحد لكنهما يُقالان باعتبارين مختلفين، أما الكتاب: فلجمع الأحكام المتفرقة فيه، وأما الفرقان: فلكونه مفرقاً بين الحق والشبهة وبين الأحكام المختلفة، وأتى باللفظين تنبيها على تضمين التوراة للمعنيين الراغب، ١٩٩٩م، ج ١٩١/١). وقال الواحدي (عطف تفسيري) يعني: التوراة فهو الفارق بين الحق والباطل،

والحلال والحرام (لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بذلك الكتاب من الضلال) (الواحدي: ١٠٥)، وقال الزمخشري: (الْكِتَابُ وَالْفُرْقَان يعنى الجامع بين كونه كتابا منزلاً، وفرقانا يفرق بين الحق والباطل: يعنى بذلك التوراة، كقولك: رأيت الغيث والليث، تريد به الرجل الجامع بين الجود والجرأة (الزمخشري، ج ١/١٣٩).وقول الواحدي بالعطف التفسيري يدفعنا إلى القول بأن المُفسر يكون أولا (الكتاب) والمُفسر ثانيا (الفرقان)، والتفسير انسحب على العطف الترتيبي، كذلك موقفنا من قول الزمخشري في أن التوراة كتاب ابتداء، ومن صفته أنه يفرق بين الحق والباطل، إذ لا يستقيم ذكر صفة الكتاب المنزل قبل ذكره. والله أعلم.

المصادر:

١. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٢. التاريخ الكبير محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان .

٣. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٤. تأويلات أهل السنة تفسير الماتريدي)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٥. التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد(محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٦. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: (٧٤١هـ)، تحقيق : الدكتور عبد الله الخالدي شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

٧. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٨. تفسير الإمام الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت: ٢٠٤هـ)، جمع وتحقيق ودراسة د. أحمد بن مصطفى الفران (رسالة دكتوراه، دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.

٩. التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، الشافعي ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

١٠.تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة د. محمد عبد العزيز بسيوني كلية الآداب – جامعة طنطا، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١١.تفسير القرآن وهو اختصار لتفسير الماوردي، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي الملقب بسلطان العلماء (ت:٦٦٠هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

١٢.تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: (٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

١٣.تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، تحقيق الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩م.

١٤.تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

١٥.جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى،١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٦.الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة:

١٧. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: (٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة .

١٨.جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: (٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى،

١٩.الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٢٠.ديوان عدي بن الرفاع العاملي، شاعر أهل الشام (٩٥هـ - ٧١٤م)، جمع وشرح ودراسة د. حسن محمد نور الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٢١.سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت : ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٢.شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م. الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢٣.العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت:١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار

٢٤.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.

٢٥.الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: (١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت.

٢٦.لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: (٧١١هـ)، دار صادر – بيروت،

٢٧.مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: (٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة: ١٣٨١هـ.

٢٨.مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت:٧٢٨هـ) تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٢٩.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٠.المحكم والمحيط الأعظم أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت:٤٥٨هـ)،تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٣١.مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٣٢.المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٣.معالم التنزيل في تفسير القرآن – تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: (٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٣٤.معاني القرآن وإعرابه إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٥.معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧ هـ) تحقيق أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.

٣٦.مفاتيح الغيب التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة : الثالثة – ١٤٢٠هـ.

٣٧.مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ

٣٨. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب خموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د : الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٣٩.الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت: (٤٦٨هـ)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٤٠.الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، الشافعي (ت: (٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

هوامش البحث

Sources:

.١Taj Al-Arous from Jawaher Al-Qamoos, Muhammad bin Muhammad bin Abdul-Razzaq Al-Husseini, Abu Al-Fayd, nicknamed Murtada Al-Zubaidi (died: 1205 AH), verified by a group of investigators, Dar Al-

.٢The Great History, Muhammad bin Ismail bin Ibrahim bin Al-Mughirah Al-Bukhari, Abu Abdullah (d. 256 AH), Department of Ottoman Encyclopedias, Hyderabad - Deccan, printed under the supervision of: Muhammad Abdul Mu'id Khan.

.٣History of Damascus, Abu al-Qasim Ali bin al-Hasan bin Hibat Allah, known as Ibn Asakir (d. 571 AH), edited by: Amr bin Gharamah al-Amrawi, Dar al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, 1415 AH -

.٤Interpretations of the Sunnis, Interpretation of Al-Maturidi), Muhammad bin Muhammad bin Mahmoud, Abu Mansur Al-Maturidi, d. 333 AH), edited by Dr. Majdi Basloum, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, First Edition, 1426 AH - 2005 AD.

.٥Liberation and Enlightenment: Liberating the Correct Meaning and Enlightening the New Mind from the Interpretation of the Glorious Book) Muhammad al-Tahir bin Muhammad bin Muhammad al-Tahir bin Ashour al-Tunisi (deceased: 1393 AH), Tunisian Publishing House, Tunisia, 1984 AH.

.٦Al-Tasheel for the Sciences of Revelation, Abu Al-Qasim Muhammad bin Ahmed bin Muhammad bin Abdullah, Ibn Jazi Al-Kalbi Al-Gharnati (d. (741 AH), edited by: Dr. Abdullah Al-Khalidi, Dar Al-Arqam Bin Abi Al-Arqam Company - Beirut, First Edition, 1416 AH.

.٧Definitions, Ali bin Muhammad bin Ali Al-Zain Al-Sharif Al-Jurjani (d. 816 AH), compiled and authenticated by a group of scholars under the supervision of the publisher Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, first edition, 1403 AH - 1983 AD.

.٨Interpretation of Imam Al-Shafi'i, Abu Abdullah Muhammad bin Idris bin Al-Abbas bin Othman bin Shafi' bin Abdul Muttalib bin Abdul Manaf Al-Muttalabi Al-Qurashi Al-Makki (d. 204 AH), collected, verified and studied by Dr. Ahmed bin Mustafa Al-Farran (PhD dissertation, Dar Al-Tadmuriya - Kingdom of Saudi Arabia, first edition: 1427 AH - 2006 AD.

.٩The Simple Interpretation, Abu Al-Hasan Ali bin Ahmad bin Muhammad bin Ali Al-Wahidi Al-Naysaburi, Al-Shafi'i, d. 468 AH), investigation: The origin of his investigation in (15) doctoral dissertations at Imam Muhammad bin Saud University, then a scientific committee from the university compiled and coordinated it, Deanship of Scientific Research – Imam Muhammad bin Saud Islamic University, First Edition, 1430 AH.

.١٠Interpretation of Al-Raghib Al-Isfahani, Abu Al-Qasim Al-Hussein bin Muhammad, known as Al-Raghib Al-Isfahani (d. 502 AH), investigation and study by Dr. Muhammad Abdel Aziz Bassiouni, Faculty of Arts - Tanta University, First Edition 1420 AH - 1999 AD.

.١١Interpretation of the Qur'an, which is an abbreviation of the interpretation of Al-Mawardi, Abu Muhammad Izz Al-Din Abdul Aziz bin Abdul Salam bin Abi Al-Qasim bin Al-Hasan Al-Sulami Al-Dimashqi, nicknamed Sultan Al-Ulama (d. 660 AH), edited by Dr. Abdullah bin Ibrahim Al-Wahbi, Dar Ibn Hazm - Beirut, Edition: First 1416 AH / 1996 AD.

.١٢Interpretation of the Qur'an, Abu Al-Muzaffar Mansur bin Muhammad bin Abdul-Jabbar bin Ahmed Al-Marwazi Al-Sam'ani Al-Tamimi Al-Hanafi and then Al-Shafi'i (d. (489 AH), edited by: Yasser bin Ibrahim and Ghoneim bin Abbas bin Ghoneim, Dar Al-Watan, Riyadh - Saudi Arabia, First Edition, 1418 AH). - 1997

.١٣Tafsir Mujahid, Abu Al-Hajjaj Mujahid bin Jabr Al-Tabi'i Al-Makki Al-Qurashi Al-Makhzoumi (d. 104 AH), edited by Dr. Muhammad Abd al-Salam Abu al-Nil, Dar al-Fikr al-Hadith al-Islami, Egypt, First Edition, 1410 AH - 1989 AD.

.١٤Refinement of the Language, Muhammad bin Ahmad bin Al-Azhari Al-Harawi, Abu Mansour (d. 370 AH), edited by: Muhammad Awad Marib, Arab Heritage Revival House - Beirut, first edition, 2001 AD.

.١٥Jami' al-Bayan fi Interpretation of the Qur'an, Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Kathir bin Ghalib al-Amli, Abu Jaafar al-Tabari (d. 310 AH), edited by Ahmed Muhammad Shaker, Al-Resala Foundation, first edition, 1420 AH - 2000 AD.

.١٦Al-Jami' Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar of the affairs of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, his Sunnahs and his days (Sahih Al-Bukhari), Muhammad bin Ismail Abu Abdullah Al-Bukhari Al-Jaafi, edited by: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, Dar Touq Al-Najat, photographed on the authority of Al-Sultaniya, with the addition of Muhammad Fuad Abdul Baqi's numbering) , Edition: First,

.١٧Al-Jami' Li Ahkam Al-Qur'an, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Abi Bakr bin Farah Al-Ansari Al-Khazraji Shams Al-Din Al-Qurtubi (d. (671 AH), edited by: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Tfayesh, Dar Al-Kutub Al-Misria - Cairo.

.١٨Jamharat al-Lughah, Abu Bakr Muhammad ibn al-Hasan ibn Duraid al-Azdi (d. 321 AH), edited by: Ramzi Munir Baalbaki, Dar al-Ilm Lil-Malayin - Beirut, first edition, 1987 AD.

.١٩Al-Durr Al-Masun fi Ulum Al-Kitab Al-Maknoon, Abu Al-Abbas, Shihab Al-Din, Ahmed bin Yusuf bin Abdul-Daim, known as Al-Samin Al-Halabi (d. 756 AH), edited by: Dr. Ahmed Muhammad Al-Kharrat, Dar Al-Qalam, Damascus.

.٢٠Diwan of Adi bin Al-Riffa Al-Amili, poet of the people of the Levant (95 AH - 714 AD), collected, explained and studied by Dr. Hassan Muhammad Nour al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, first edition, 1410 AH - 1990 AD.

.٢١Biographies of Noble Figures, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Othman bin Qaymaz al-Dhahabi (d. 748 AH), edited by: a group of investigators under the supervision of Sheikh Shuaib al-Arnaout, Al-Resala Foundation, third edition, 1405 AH - 1985 AD.

.٢٢The poetry of Zuhair bin Abi Salma, The Craft of Al-A'lam Al-Shantamari, edited by Dr. Fakhr al-Din Qabawa, New Horizons House, Beirut, third edition 1400 AH - 1980 AD. Second edition, 1384 AH - 1964

.٢٣Al-Ain, Abu Abdul Rahman Al-Khalil bin Ahmed bin Amr bin Tamim Al-Farahidi Al-Basri (d. 170 AH), edited by: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarrai, Al-Hilal House and Library.

.٢٤Al-Kashshaf fi Fakīqāt Māziyāt al-Tanzīl, Abu al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmad al-Zamakhshari Jarallah (d. 538 AH), Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut, third edition - 1407 AH.

.٢٥Al-Kulliyyat, A Dictionary of Linguistic Terms and Differences, Ayoub bin Musa Al-Husseini Al-Quraymi Al-Kafawi, Abu Al-Baqa Al-Hanafi (d. (1094 AH), edited by: Adnan Darwish Muhammad Al-Masry, Al-Resala Foundation, Beirut.

.٢٦Lisan al-Arab Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari al-Ruwaifi al-Ifriqi (d. 711 AH), Dar Sader - Beirut, third edition - 1414 AH.

.٢٧Metaphor of the Qur'an, Abu Ubaidah Muammar bin Al-Muthanna Al-Taymi Al-Basri (d. (209 AH), edited by: Muhammad Fu